

التعريب



مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

اللغة
العربية
هي
القومية

المنظمة
العربية
للتربية
والثقافة
والعلوم

53

ربيع الأول 1439هـ - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

السنة السابعة والعشرون
العدد الثالث والخمسون

التعمير



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الثالث والخمسون

كانون الأول (ديسمبر) 2017

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور زيد إبراهيم العساف

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور عدنان الحموي

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذة الدكتورة زهيدة درويش جبور

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ الدكتور صالح بلعيد

الأستاذ الدكتور ميلود حبيبي

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

الفكر الاقتصادي عند ابن أبي الربيع في كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"

أ. تيسير عبد الله ناعس

كلية الشريعة - جامعة دمشق

1. مقدمة

تأتي أهمية البحث من كونه يقدم دراسة فكرية اقتصادية لأقدم مؤلف في الفكر السياسي العربي الإسلامي وصلنا من العصور الوسطى، وهو كتاب "سلوك المالك..." لابن أبي الربيع، وهذا الأمر يجعل الكتاب من أهم مصادر التاريخ الاقتصادي العربي؛ نظراً لغزارة الأفكار الاقتصادية التي أشار إليها، وأسبقيتها على الأفكار الاقتصادية التي أشارت إليها مؤلفات الفكر السياسي التي جاءت بعده.

2. التعريف بابن أبي الربيع، وكتاب "سلوك المالك (...)"

1.2. التعريف بابن أبي الربيع:

هو أحمد بن محمد بن أبي الربيع، شهاب الدين البغدادي. من أرباب الحكمة والسياسة، ومن رجال الخليفة المعتصم بالله العباسي⁽¹⁾. وقد اختلف حول زمن تأليف الكتاب إلى فريقين: الفريق الأول، يرى أن تأليف الكتاب يعود للقرن الثالث الهجري، وأن أحمد ابن أبي الربيع

¹ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت 1992، ج 2، ص 1000؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 5، بيروت، 1980، ج 2، ص 164؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1958، ج 4، ص 111.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

قد كتبه للخليفة المعتمد، الذي وُلِّي الخلافة (218-227هـ/833-842م)، كما تقدّم. الفريق الثاني، ذهب إلى أن زمن الكتاب يعود للقرن السابع الهجري، وأن شهاب الدّين قد كتبه للخليفة المستعصم، الذي وُلِّي الخلافة (640-656هـ/1242-1258م). وقد استند الفريقان فيما ذهبا إليه إلى تعدد نسخ مخطوطة الكتاب، حيث ورد في بعضها أن أحمد ابن أبي الربيع ألفه للمعتمد، وورد في بعضها الآخر أنه كتبه للمستعصم¹. وبكل الأحوال، فإن ما ذكره الزركلي وكحالة عن تاريخ ولادة ووفاة أحمد ابن أبي الربيع (218-272هـ/833-885م) لا يتناسب مع ما ذكر أنه أهداه للخليفة المعتمد، إذ كيف يكون من رجاله، ويؤلف كتاباً في السياسة، وهو لم يبلغ مبلغ الرجال بعد؟! يدعو الأخذ أو ترجيح القول الأول إلى إعادة النظر في زمان ولادة المؤلّف من جديد.

2.2. التعريف بكتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"

ذكر شهاب الدّين في مقدمة الكتاب سببين لتأليفه:
الأول: أنه وقف على كتاب مختصر في حفظ صحة البدن، لأن حفظ النفس أولى، فمراعاتها وتزكيتهما بالعلم والعمل أحرى بالتقديم عند نوي الألباب.
الثاني: استجابة لأمر السلطان.

فتأمل ما وجد من الكتب في هذا الموضوع (علم السياسة والاجتماع والفلسفة والرياضيات والموسيقى)، وانتزع منها ما كان قابلاً للتشجير والتقسيم، بعد الإيجاز والاختصار. وجمع فيه بين كلام الحكماء المتقدمين، والعلماء المتأخرين، وجاء الكتاب في أربعة فصول:

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك، دار الأندلس، ط 3، بيروت 1983، ص 7؛ سلوك المالك في تدبير الممالك تأليف شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، تحقيق: عارف عبد الغني، سلسلة كتب التراث (7)، دار كنان، دمشق 1995، ص 7-10.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"

- الفصل الأول: في مقدمة هذا الكتاب.
- الفصل الثاني: في أحكام الأخلاق وأقسامها.
- الفصل الثالث: في أصناف السيرة العقلية وانتظامها.
- الفصل الرابع: في أقسام السياسات وأحكامها¹.

«وكل من هذه الفصول مقسم إلى أبواب، ترتبت فيها الأفكار أو الأحكام بشكل جداول أو مشجرات في غاية الدقة»².

وللكتاب عدة طبعات محققة:

الأولى: للدكتور ناجي التكريتي، ونشرت طبعته الأولى دار عويدات ببيروت، سنة 1978، في 183 صحيفة. واعتمد الباحث في الدراسة الاقتصادية لهذا الكتاب على الطبعة الثالثة التي نشرتها دار الأندلس ببيروت سنة 1983، وصدر الكتاب بعنوان: "الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك"، وتقع هذه الطبعة في 252 صحيفة.

الثانية: للدكتور حامد عبد الله ربيع، وهي من نشر دار الشعب في جزأين بالقاهرة: الجزء الأول سنة 1980، وعدد صفحاته 217 صحيفة. والجزء الثاني سنة 1983، وعدد صفحاته 233 صحيفة.

الثالثة: للباحث عارف أحمد عبد الغني، ونشرتها دار كنان بدمشق سنة 1995، ضمن سلسلة كتب التراث، في 172 صحيفة.

الرابعة: للأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز، صدرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة

¹ سلوك المالك في تدبير الممالك، مرجع سابق، ص 35-36؛ عادل ثابت، الفكر السياسي الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، القاهرة 2002، ص 15، 94.

² جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: شوقي ضيف، طبع بمطابع مؤسسة دار الهلال، القاهرة د. ت، ج 2، ص 221.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

2010م، ونشرتها دار العاذرية بالرياض، وتقع في 207 صحيفة.
الخامسة: لأسعد السحمراني وأحمد راتب عرموش، ونشرتها دار النفائس ببيروت، سنة 2011، وعدد صفحاتها 173 صحيفة.

وكانت أول طبعة صدرت للكتاب سنة 1968 على الحجر بالقاهرة، في 152 صحيفة من القطع الكبير؛ ليتمكن تصوير تلك المشجرات¹.

3. إسهامات ابن أبي الربيع في المشكلة الاقتصادية

منذ أن وطأت قدم أول إنسان الأرض وهو يواجه مشكلة تزامم الرغبات المتعددة والمتنوعة والمترابطة أمام إمكانيات محدودة وغير كافية لتحقيق رغباته، وهذه هي المشكلة الاقتصادية².

عرض ابن أبي الربيع لركني المشكلة الاقتصادية:

أ. **الحاجات الاقتصادية:** وهي الحاجات التي يجري إشباعها بالموارد الاقتصادية، مثل إشباع حاجة الجوع بالغذاء، وإشباع حاجة البرد أو الحر باللباس³.
ذكر ابن أبي الربيع عدداً من الحاجات الاقتصادية، مثل: الطعام والشراب، واللباس، والمسكن، والطب (العلاج)، والنكاح (الزواج)⁴.

كما أشار ابن أبي الربيع إلى أهم خصائصها، وهي التجدد والتكرار، فبعض الحاجات التي يجري إشباعها في وقت معين تعود للإلحاح مرة أخرى بعد مدة زمنية معينة، فالحاجة إلى الطعام تتجدد مرتين أو ثلاث مرات في اليوم، كما أنها تتجدد كل يوم، فقال: «لما كان الإنسان

¹ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، ج2، ص 221.

² عبد الستار سلمى، محاضرات في الاقتصاد السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة 2004، ص 69.

³ عبد الستار سلمى، محاضرات في الاقتصاد السياسي، مرجع سابق، ص72؛ يعقوب سليمان وآخرون، مبادئ الاقتصاد الجزئي، دار المسيرة، ط 1، عمان 1999، ص 41.

⁴ ناجي النكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 149، 174-175.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي في تدبير الممالك"

منتقياً دائماً التحلل، احتاج إلى أن يستمد من الغذاء مكان ما يتحلل منه بالحركة¹. وأكد ابن أبي الربيع نسبية الحاجات الاقتصادية، وأنها تعبر عن الحالة الاجتماعية، وتخضع لظروف الزمان والمكان ونحو ذلك، فحذر من "البذخ" في إنفاق المال وهو أن يتعدى المرء ما يتخذه أهل طبقتهم مباحة²، وأوجب على الإنسان في ماله أن لا يتعدى ما يفعله أهل طبقتهم³، وجعل "الشرة" من جملة الرذائل؛ وهو الاستكثار من المطاعم والمشارب والمناكح⁴، ثم قال في موضع آخر: «إن زاد كسبه، فليكثر من التجمُّل وزينة البيت»⁵.

وما ذكره ابن أبي الربيع من الحاجات الاقتصادية يمكن إعادة تصنيفه إلى قسمين:

1. حاجات اقتصادية دورية: وهي الحاجات التي تتجدد بانتظام من وقت لآخر، مثل: حاجة الغذاء.

2. حاجات اقتصادية غير دورية: وهي الحاجات التي تظهر بشكل متقطع وغير منتظم، مثل: حاجة العلاج.

ويقابل الحاجات الاقتصادية الحاجات غير الاقتصادية، وهي الحاجات التي يتم إشباعها بالموارد الحرة، مثل: إشباع حاجة التنفس بالهواء⁶.

ذكر ابن أبي الربيع عدداً من الحاجات غير الاقتصادية، مثل: الهواء، والحركة والسكون، والنوم واليقظة، والاستفراغ.

فالإنسان مضطر للحركة والسكون ليتصرف في ضرورياته ويستريح وقت حاجته،

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 152.

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 152.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 122.

⁵ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 162.

⁶ عبد الستار سلمي، محاضرات في الاقتصاد السياسي، مرجع سابق، ص 72؛ يعقوب سليمان وآخرون، مبادئ الاقتصاد الجزئي، مرجع سابق، ص 41، مرجع سابق.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ومضطر للنوم واليقظة لاستراحة القوى النفسية وتنميط الأفعال الطبيعية، ومضطر للاستفراغ لإخراج مالا حاجة إليه من فضول البد¹.

ب. **الموارد الطبيعية:** هي كل ما يشبع حاجات الإنسان من وسائل سواء كانت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة².

أشار ابن ابي الربيع إلى نوعي الموارد على النحو الآتي:

- الموارد الحرة الطبيعية: وهي الموارد التي لا تتصف بالمحدودية، مثل: الهواء³.
- الموارد الاقتصادية الطبيعية: وهي الموارد التي تتصف بالمحدودية النسبية، مثل: الغذاء والعلاج⁴.

يحتاج الوفاء بالموارد الاقتصادية إلى مجموعة من العناصر:

1. الاجتماع والتعاون (الألفة): تدفع الحاجة إلى الصنائع والعلوم التي تُعمل بها هذه الأشياء الناس إلى الاجتماع، فافتقر بعض الناس لبعض في الحرف، كما تفتقر بعض أجزاء السلسلة إلى بعض؛ لأن الإنسان وحده لا يمكنه أن يعمل الصنائع كلها، فاضطروا إلى الاجتماع في مكان واحد، واتخاذ المدن والقرى؛ لينال بعضهم من بعض المنافع من قرب⁵.

وقدّم ابن أبي الربيع مثلاً على التعاون بالأسرة، فالرجل مضطر للخروج من البيت، فاحتاج إلى من يحفظه له ويدبر له ما فيه، وليس يمكن أن يبلغ أحد من العناية بشيء غيره ما

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 149.

² (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة- مورد).

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 149، مصطفى الكفري، الاقتصاد السياسي مقدمة في العلوم الاجتماعية، جامعة دمشق: كلية الاقتصاد، د. ت، ص 46.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 149، 174-175؛ مصطفى الكفري، الاقتصاد السياسي مقدمة في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 46.

⁵ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150، 175.

.....الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي في تدبير الممالك"

يبلغه بشيء نفسه. فلما كان الأمر كذلك، كان أصلح الأشياء للرجل أن يكون في منزله شريك يملكه كملكه، حتى يعني كعنايته، ويكون تدبيره كتدبيره¹.

2. **تقسيم العمل:** يفرض تعدد الحاجات الاقتصادية والافتقار إلى معاونين إلى تقسيم العمل، فيسند إلى كل فرد جزء من العمل الإنتاجي يتولى القيام به متعاوناً مع غيره، إذ لا يكتفي الواحد من الناس بنفسه في الأشياء كلها².

وقد مرت ظاهرة التخصص بأطوار عديدة، بدأت مع التقسيم الحرفي في العصور القديمة، ثم التقسيم الفني الذي هو سمة الحياة الاقتصادية المعاصرة.

عرض ابن أبي الربيع لنوعي التخصص:

- التخصص الحرفي: وهو أقدم أشكال تقسيم العمل، ويعني التخصص في مهنة معينة، مثل: الحدّاد أو النجّار.

- التخصص الفني: ويعني التخصص القائم داخل كل حرفة، مثل: صناعة الغذاء، فهي تحتاج إلى صناعات أخرى كثيرة³.

وربط ابن أبي الربيع بين الحاجة لتقسيم العمل والتمدن، على أساس ترابط الصنائع وحاجة بعضها إلى بعض⁴.

3. **قانون يدبر أمورهم، ويمنع عنهم التظالم والتعدي (علاقة علم الاقتصاد بعلوم القانون والسياسة):** حتى يقصد كل أحد منهم للصناعة التي ينتحلها لمصلحة نفسه ومصلحة غيره ممن يحتاج إليها ولا يعوقه عنها عائق، فيتم بذلك تعاضدهم وتعاونهم على مصالح عيشتهم

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 153.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 175.

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150، صالح حميد العلي، عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والنظم الاقتصادية المعاصرة، دار اليمامة، ط1، دمشق 2000، ص 242-244.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

واستقامة أمورهم.

ويحتاج القانون لوجود رئيس واحد من أفاضلهم يحملهم على تطبيقه، فالناس مضطرون في صلاح معاشهم إلى تدبير وسياسة وأمر ونهي¹.

فعلم الاقتصاد يتأثر ويؤثر بغيره من العلوم، وخاصة العلوم الاجتماعية كعلم القانون، فعلى الإنسان أن يقوم بنشاطه الاقتصادي في دائرة القانون، ويجب عليه أن لا يتجاوز نصوصه. ومن جانب آخر ينظم القانون شروط العقد، ولكنه يترك للمتعاقدین أمر تقدير الثمن. ومثل علم القانون علم السياسة².

ج. دور الأخلاق في المشكلة الاقتصادية: يساعد الالتزام ببعض القيم والفضائل في تقليص الفجوة بين الحاجات الاقتصادية غير المحدودة والموارد الاقتصادية المحدودة، مثل قيم: العفة، والإيثار، والسماحة، والمواساة.

فالالتزام بخلق العفة يضبط النفس عن الشهوات القبيحة، واجتناب الترف. والإيثار يكف الإنسان عن بعض حوائجه وبذلها لمستحقيها. والسماحة تدعو الإنسان إلى ترك بعض ما لا يجب تركه عند الحاجة أو الضرورة. ومواساة أهل الحاجة بالمال، والبر بهم ومراعاتهم³.

يسهم التعامل مع المشكلة الاقتصادية - في دائرة القيم الإسلامية - إلى التخفيف من حدتها وخطورتها على مستوى الحاجات المتعددة والموارد الاقتصادية، فتكون الحاجات المطلوب إشباعها مقتصرة على الحاجات الطيبة والمشروعة، ويدفع الالتزام بهذه القيم إلى مزيد من العمل والتضحية للاستفادة من الموارد⁴.

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 175-176.

² عبد الستار سلمى، محاضرات في الاقتصاد السياسي، مرجع سابق، ص 67.

³ عبد الستار سلمى، محاضرات في الاقتصاد السياسي، مرجع سابق، ص 120-121.

⁴ كمال توفيق الحطاب، نظرات جديدة في المشكلة الاقتصادية من منظور إسلامي، مؤتة للبحوث والدراسات.

المجلد السابع عشر - العدد الثالث 2002، ص 59.

.....الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المال كفي تدبير الممالك"

4. إسهامات ابن أبي الربيع في الإنتاج

أقام ابن أبي الربيع نظريته في الإنتاج بناء على نظريته السابقة للمشكلة الاقتصادية، فالندرة النسبية للموارد الاقتصادية تدفع الإنسان لدوام السعي في سبيل إيجاد المزيد منها، أو تنمية منفعة الموجود منها¹.

وأراد ابن أبي الربيع بمصطلح "المراعاة" ما يقرب من معنى مصطلح "الإنتاج" في الدراسات الاقتصادية المعاصرة².

وأشار ابن أبي الربيع إلى عنصر رأس المال السلعي والعمل عندما تحدث عن صناعة الغذاء، فرأس المال السلعي في هذه الصناعة هو الحيوان أو النبات، ويحتاج الحيوان إلى أعمال التغذية والحفظ، والنبات إلى الزرع والتتمية والخدمة³.

ووضع قاعدة للإنتاج والاستهلاك، وأسماها: "التدبير"؛ وهي في الإنتاج: إجراء الأمور على الصواب، وفي الاستهلاك: أن يعرف مقادير النفقة، فلا ينفق في غير ضرورة، أو يتعدى أهل طبقته، أو يهمل المهم من أموره كقوت العيال⁴. وهذه القاعدة تقوم عليها إحدى الفروض الأساسية لعلم الاقتصاد وهي "التعظيم"؛ أي: أن يهدف المنتج والمستهلك من القيام بالتبادل إلى تحقيق أعلى عائد ممكن.

كما وضع ابن أبي الربيع ضوابط أخلاقية للعمل والكسب، وهي تجنب النقائص الآتية: الجور، والعار، والدناءة.

ونكر صوراً لكل واحدة:

1 صالح حميد العلي، عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والنظم الاقتصادية المعاصرة، مرجع سابق، ص 100.

2 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150.

3 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150.

4 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150، 152.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

- فمن الجور: البخس في الوزن، والتطيف في الكيل، وجحود الحق، والمغالطة في الحساب.
- ومن العار: احتمال الشتم أو الصفع أو الإهانة طلباً للكسب.
- ومن الدناءة: ترك صناعة آباءه من غير عجز، أو الانتقال عن تلك الصناعة إلى أدون منها¹.

ومالم يتجنب ذلك، كان ظالماً لنفسه؛ لأنه توصل إلى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي².
ووجه ابن أبي الربيع العامل إلى اختيار ما كان من الحرف أعم نفعاً وأشرف عند الخاصة والعامّة، وإلى الاجتهاد في الإحاطة بجزئيات صنعته وكلياتها؛ لينتقد فيها ويبلغ غايتها³.
وأوجب على العامل أن يتعهد المعيشة والحرفة التي يحترف بها؛ ليتوفر كسبه، وينمو ماله، ويحسن حاله وينظّم⁴.
وجعل من وظائف الدولة مواخذه الرعية على التقصير في الاكتساب، ومكافحة التبطّل والتكاسل⁵.

كما تحدث ابن أبي الربيع عن الادخار، وبيّن أن أفضل الأموال المتخذة لهذا الغرض الضياع والقفار، ويراعى عند الشراء ما قرّب من العمران وبعُد من جور المتغلبين⁶.
ووضع ابن أبي الربيع قاعدتين لإمكان الادخار:
- الأولى: أن لا يكون ما ينفق أكثر مما يكسب.

1 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 151.
2 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 113.
3 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 161.
4 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 272.
5 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 203.
6 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 161-162.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي في تدبير الممالك"

- والثانية: أن لا يكون ما ينفق مساوياً لما يكسب¹.

فإذا زاد عائد الكسب عن حجم الإنفاق، حصل الادخار.

وطالب ابن أبي الربيع طبقة التجار بجمع المال من أحسن وجوهه، والاكتساب الدائم المعتدل، وإظهار العدل في المعاملات، والإنصاف من أنفسهم، وإظهار السيرة الحسنة، ومعاونة الأصحاب².

5. إسهامات ابن أبي الربيع في النقود

تعارف الفقهاء الإسلاميون وعلماء الاقتصاد تعريف النقود نظراً لوظائفها الاقتصادية، فهي ما يستعمله الناس مقياساً للقيم ووسيطاً في التبادل.

وأشار ابن أبي الربيع في هذا المجال لدواعي التحول من المعاملة الطبيعية (المقايضة: سلعة مقابل سلعة) إلى المعاملة الوضعية (المعاوضة: سلعة مقابل نقد)، وهي:

1. صعوبة توافق رغبات المتبادلين في الزمان أو السلع.

2. صعوبة وجود مقياس مشترك لقيم السلع.

أدت هذه الصعوبات في المقايضة إلى الانتقال لتوسيط الدنانير والدرهم في التبادل؛ لما تتمتع به من خصائص وميزات تتجاوز الصعوبات السابقة، وتسهل التبادل أكثر من قبل³.

وصار من يملك الذهب والفضة كأن السلع التي يحتاج إليها حصلت في يده⁴.

وأوماً إلى عدم صلاحية الذهب والفضة للاستعمال السلعي، مثل الشرب في أواني الذهب

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 151.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 161.

³ يوسف كمال محمد، فقه الاقتصاد النقدي، دار الهداية ودار الصابوني، القاهرة 1993، ص 34-35.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 151-152.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

والفضة. أو إخراجهما عن وظيفة التَّمَنِيَّة التي خُلِّقا من أجلها، مثل التَّخْتُم بالذهب للرجال¹.
فتتطابق رؤية ابن أبي الربيع لوظائف النقود مع أصحاب النظرية الكمية (الكلاسيكية أو التقليدية) في أن النقود لا تصلح أداة للادخار أو مستودعاً للقيمة، فالنقود لا تُطلب لذاتها، والطلب عليها طلب مشتق، وهي مجرد عربة لنقل القيم، ولا تأثير لها في النشاط الاقتصادي (دور حيادي)².

6. إسهامات ابن أبي الربيع في التوزيع الشخصي

وهو التوزيع المبني على معياري الحاجة أو الصَّلَّة، ويستند إلى دوافع دينية أو خلقية أو اجتماعية³.

1. استعمل ابن أبي الربيع مصطلح "أبواب الجميل" بدل "التوزيع الشخصي" في التوزيع القائم على معيار الحاجة.

فما أوجب ابن أبي الربيع على الإنسان في ماله:

- أن يُعرف أبواب الجميل، ويرغب فيها ويبتغيها، ويستميل إليها.

- وأن يُعرف الحق اللازم، ويوجبه على نفسه⁴.

وحذر من "اللؤم" في إنفاق المال؛ وهو الإمساك عن الإنفاق في أبواب الجميل⁵.

وهناك مفاهيم أخرى تدل على التوزيع الشخصي، مثل: الإيثار، والسخاء، والمواساة

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 211.

² رفيق يونس المصري، هل تُطلب النقود لذاتها؟ جامعة الملك عبد العزيز: كلية الاقتصاد والإدارة، 2005، ص 3.

³ محمد أنس الزرقا، نظم التوزيع الإسلامية، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، م 2 ع 2، 1984، ص 6-11.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 152.

⁵ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 152.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي في تدبير الممالك"

بالمال، والسماحة، والمسامحة¹. فهي تتضمن معنى انتقال المال دون عوض لمن هم أكثر حاجة له.

وأوجب ابن ابي الربيع مواساة الفقراء الصادقين فيما يظهره، فقال: «يجب أن يواسيهم بما يقدر عليه ويتبهاً له، ولا يجبهم»².

2. كما استعمل ابن أبي الربيع مصطلح "المكافأة" بدل "التوزيع الشخصي" في التوزيع القائم على معيار الصلّة.

وأراد بالمكافأة: مقابلة الإحسان بمثله، والزيادة عليه بما يجب³.

ومما يدخل في إعادة التوزيع أيضاً، إنفاق الدولة على قضاء الديون، وفك الأسرى، والفقراء⁴.

7. إسهامات ابن أبي الربيع في الوظائف الاقتصادية للدولة

اهتمت كتب الفكر السياسي الإسلامي، ومنها كتابنا، بواجبات الدولة، ومنها واجباتها الاقتصادية:

1. فعدد ابن أبي الربيع وظائف الدولة الأساسية، ومنها الوظائف الاقتصادية، بالآتي:

- النفقة وبسط الخير على الرعية.
- معرفة أخلاق الرعية؛ ليؤهل كلاً لما يصلح له من الولايات، واستعمالهم في صناعتهم، حتى لا يجدوا فراغاً لفكر في مفسدة.
- شحن الثغور بالرجال، وتعهد الجنود بالجوائز.
- سماع قول القائل والمقول فيه، ثم معاقبة الباغي، وإنصاف المظلوم من الظالم، حتى لا

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 120-121.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 170.

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 112.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 203.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

يجتمع المحسن والمسيء بمنزلة واحدة، فيزهد أهل الإحسان.

- يجب أن يتفقد عمارات بلده، وأحوال أقواتهم.

- حسم أسباب النزاع.

- وليحرسهم من قطاع الطرق، وليؤمّتهم من اللصوص في منازلهم¹.

وتتلخص هذه الوظائف في: الدفاع، والقضاء، والأمن، والمالية، والرقابة والإشراف. وذكر ابن أبي الربيع أن السياسة تقوم على أربعة قواعد: حراسة الرعية، وعمارة البلدان، وتدبير الجند وتقدير الأموال².

2. وقسم ابن أبي الربيع البلدان إلى مزارع، وأمصار:

أ. المزارع: وهي أصول المواد التي بها يقوم عيش الخلق، ويلزم الإمام فيها حقوق ثلاثة:

الأول: القيام بمصالح المياه؛ لينتفع بها القريب والبعيد.

الثاني: كف الأذى عنهم؛ لنألا يشتغلوا بغير الزراعة.

الثالث: تقدير ما يؤخذ منهم بحكم الشرع والعدل؛ حتى لا ينالهم خوف ولا عسف.

فإن حيف عليهم في شيء من ذلك أو عسف بهم، انعكس الصلاح إلى ضده.

ب. الأمصار: وهي الأوطان الجامعة، والمقصود بها خمسة أمور:

أحدها: أن يستوطنها أهلها، طلباً للدعة والسكون.

الثاني: حفظ الأموال فيها من الاستهلاك.

الثالث: صيانة الحرم والخدم فيها من الانتهاك.

الرابع: التماس ما تدعو الحاجة إليه من متاع وغيره.

الخامس: لا يتعرض السلطان للكسب وطلب المادة.

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 180-181، 185-187.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 189.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي في تدبير الممالك"

فإنَّ عَدَمَ فيها أحد هذه الأمور فليست من مواطن الاستقرار¹.

يظهر من هذه الشروط أن دور الدولة مركزي أساسي في التخطيط للمدينة وحمايتها وضمان استمرار الاقتصاد فيها، وهو تخطيط عمراني مادي، وتخطيط اجتماعي، وتخطيط أممي، وتخطيط اقتصادي، وتخطيط بيئي. والمدينة التي لا تحظى بهذا التنظيم والرعاية تكون عرضة لمطامع الأعداء وهجران الأهل².

3. وحدد ابن أبي الربيع لاختيار مواقع المدن ستة شروط:

أحدها: سعة المياه المستعذبة.

الثاني: إمكان الميرة المستمدة.

الثالث: اعتدال المكان وجودة الهواء.

الرابع: القرب من المراعي والاحتطاب.

الخامس: تحصين منازلها من الأعداء والزُّعَار.

السادس: أن يحيط بها سواد يعين أهلها³.

4. ثم ذكر ابن أبي الربيع شروط تخطيط مواضع المدن، وهي:

أحدها: أن يسوق إليها الماء العذب ليشرب، حتى يمكن تناوله من غير عسف.

الثاني: أن يقدر طرقها وشوارعها، حتى تتناسب ولا تضيق.

الثالث: أن يبني فيها جامعاً للصلاة في وسطها، ليقرب على جميع أهلها.

الرابع: أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها، لينال سكانها حوائجهم من قرب.

الخامس: أن يميز قبائل ساكنيها، بأن لا يجمع أضعافاً مختلفة متباينة.

السادس: إن أراد سكانها فليسكن أفسح أطرافها، وأن يجعل خواصه كنفاً له من سائر جهاته.

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 189-190.

² خليف غرابية، منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع أنموذجاً)، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 8 العدد 1، 2015، ص 193.

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 189-190.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

السابع: أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء؛ لأنها بجملتها دار واحدة.
الثامن: أن ينقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها، حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها¹.

يُعدُّ ابن أبي الربيع أول من تحدث عن منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة، وهذه المنهجية استمدت عناصرها من مصادر التشريع الإسلامي، وقيم الفكر الإسلامي؛ لأنها تعبر عن الحياة اليومية للمجتمع الذي دخل فيه الإسلام إلى حياة الناس المادية والروحية بكل تفاصيلها، فهناك ترابط منسجم بين المضمون الإسلامي لسكان المدينة وملامحها العمرانية.

كشفت الشروط التي أشار إليها ابن أبي الربيع حول اختيار مواقع المدن وتخطيطها عن رؤية تخطيطية عملية للمدينة الإسلامية، وهذه الرؤية تقوم على مراعاة الجوانب الوظيفية والاجتماعية والسياسية لقاطنيها، وهو ما يؤكد أصالة هذه المدينة، وعمق الفكر الإسلامي ورؤيته السليمة في تخطيط المدن².

5. كما عرض ابن أبي الربيع لبعض موضوعات الموازنة العامة، مثل: قواعد تقدير النفقات (الخرج) والواردات (الدخل)، وحالات الموازنة العامة.

فبيّن أن الدخل مقدّر بالشرع أو بالاجتهاد، ونص الشرع لا يجوز أن يُخالف، واجتهاد ولاية العدل لا يسوغ أن يُنقض.

كما بيّن أن الخرج مقدّر بالحاجة والمُكَنَّة، والتقدير بالحاجة فيما كانت أسبابه لازمة أو مباحة، والتقدير بالإمكانية حتى لا يعجز عنها دخل، ولا يتكلف معها عسف³.

ثم ذكر حالات الموازنة العامة من فائض أو توازن أو عجز، فقال: «ولا يخلو حال الدخل

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 192.

² خليف غرابية، منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع أتمودجاً)، مرجع سابق، ص 195.

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 191.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"

إذا قوبل بالخرج من أحوال ثلاثة:
الأولى: أن يفضّل الدخل على الخرج، وذلك هو المُلْك المستقيم والتدبير القويم، ليكون فاضل الدخل لوجوه النوائب معداً.
الثانية: أن يقرّص الدخل عن الخرج، وذلك هو الملك المختل والتدبير المعتل، فتدعوه الحاجة إلى العدول عن لوازم الشرع ويؤول إلى العطب.
الثالثة: أن يتكافأ الدخل والخرج حتى يعتدل، وذلك يكون في زمن السلامة مستقلاً، وعند الحوادث معتزلاً. فإن تحركت به النوائب كدّه الاجتهاد وتلمه الأعوان¹.
يلاحظ أن ابن أبي الربيع دافع عن فائض بيت المال (الادخار)، دافعاً به رأي من يقول بنزف بيت المال.

8. إسهامات ابن أبي الربيع في التربية الاقتصادية للطفل

ذكر ابن أبي الربيع العديد من النشاطات والتوجيهات الاقتصادية التربوية التي يجب أن يؤخذ بها الطفل حال صغره، وهي تدخل في موضوع التربية الاقتصادية.
فأوجب على المربي أخذ الطفل بالآتي: أن يصغر الطعام في عينه، ويُفجّ لديه الشره والنهم، ويأمره بالأكل بين يديه خاصة، ولا ينظر إلى من حوله، ويُعوّده القناعة بأدّون الأطعمة، ويأمره بخدمة الناس، ويجعل طعامه وقت الفراغ من وظائف الاشتغال، ويجعل عاداته السخاء والخدمة، ويمنع التكاسل، ويحث على النشاط، ويغيض إليه الذهب والفضة، ويعاقب على الكذب، ويؤذّن له في اللّعب اليسير الخالي عن السّفه².

9. إسهامات ابن أبي الربيع في قواعد الإدارة الاقتصادية

تسهم الإدارة الاقتصادية في المساعدة على الوصول للاستعمال الأمثل لموارد الدولة عن

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 191-192.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 175.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

طريق الوظائف الأساسية للإدارة (التخطيط، والتنظيم، والتوظيف، والتوجيه، والرقابة)؛ لتحقيق أعظم الفوائد والفوائد الاقتصادية.

اجتهد ابن أبي الربيع في وضع معايير وأسس لاختيار القائمين بالشؤون المالية العامة؛ ليكون جمع المال وحفظه وإنفاقه جارياً على أتم حال وأكمل وجه من قواعد العدل.

والقائم على تدبير أموال الدولة هو ديوان الخراج، فيقوم بأعمال التحصيل للموارد، وتعيين وجوهها في مصارفها العامة، ونظراً لأهمية ودور هذا الديوان وضع ابن أبي الربيع معايير ملزمة لاختيار الموظفين النافذين فيه، ومنهم كاتب الخراج، وكان مما وضعه من قواعد في اختياره:

- أ. أن يكون خبيراً بحفر الأنهار ومجري المياه.
- ب. وأن يكون عارفاً بالمساحات وتخمين الغلات.
- ج. وأن يكون عالماً بفصول السنة ومجري الشمس.
- د. وأن يكون بصيراً بالحساب وكسوره وترتيبه.
- هـ. وأن يكون له دربة بعقد الجسور والقناطر والمصالح.
- و. وأن يكون له خبرة بما يدفع من الزرع في الأراضي.
- ز. وأن يكون بصيراً بأوقات الزرع وأحوال الأسعار.
- ح. وأن يكون عالماً بحقوق بيت المال وما يجب له¹.

ومثل كاتب الخراج العامل المتولّي جباية الأموال وجمعها، ومما يراعى فيه:

- أ. أن يكون عاقلاً عارفاً عالماً بأمور السواد.
- ب. وأن يكون ناصحاً في جمع الأموال، عاملاً بالعدل.
- ج. وأن يكون فيه إنصاف وانتصاف وعمارة ونزاهة.
- د. وأن يكون قصده إدرار أموال الرعية وتوفير مال السلطان¹.

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 189.

10. الخاتمة

وتتضمن الاستنتاجات الآتية:

أ. تشكل الأمثلة التي ذكرها ابن الربيع عن أنواع الحاجات والموارد الطبيعية أساساً لتصنيفها في الدراسات الاقتصادية المعاصرة.

ب. أقام ابن أبي الربيع أساس التمدن الإنساني على تفسيرات اقتصادية، إذ تدفع الندرة النسبية للموارد الاقتصادية إلى السعي لتميتها وتطويرها بالإنتاج، والإنتاج يتوقف على تقسيم العمل، وتقسيم العمل يتوقف على التمدن الذي يفرضه تعدد الحاجات الاقتصادية وعجز الفرد وحده عن سدّها بنفسه، فيضطر للاجتماع والتعاون كسبيل وحيد لقضاء حاجاته الاقتصادية المتعددة.

ج. يساعد التمسك بالقيم الأخلاقية في التقريب بين الحاجات الاقتصادية المتعددة والموارد الاقتصادية المحدودة نسبياً.

د. أرجع ابن أبي الربيع رأس المال السلعي المستعمل في العملية الإنتاجية إلى النبات أو الحيوان فقط.

هـ. أشار ابن أبي الربيع إلى القاعدة التي يقوم عليها سلوك المنتج والمستهلك في النشاط الاقتصادي، وهي قاعدة التعظيم.

و. لا يكون الادخار منتجاً عند ابن أبي الربيع إلا في الأشياء التي لها قيمة استعمالية.

ز. التوزيع الشخصي عند ابن أبي الربيع قد يكون نتيجة تصرفات طوعية للأفراد أو نتيجة سياسات مالية واجتماعية تتخذها الدولة، وقد يكون إلزامياً أو طوعياً.

ح. يرى ابن أبي الربيع أن وظائف الدولة لا تقتصر على العدالة والأمن والدفاع، فدور الدولة الاقتصادي تدخلي، والموازنة العامة يمكن أن تكون بحالة عجز أو توازن أو فائض.

ط. تعد القيم الاجتماعية وشكل النظام السياسي عند ابن أبي الربيع من أهم المصادر المؤثرة

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 202.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

في منهجية تخطيط المدن في الفكر الإسلامي.

ي. وضع ابن أبي الربيع مجموعة من المبادئ التربوية الاقتصادية التي تهدف إلى إعداد وتأهيل الطفل ليكون راشداً في معاملاته عندما يقارب البلوغ.

ك. وضع ابن أبي الربيع مجموعة من المبادئ التربوية الاقتصادية التي تهدف إلى إعداد وتأهيل الطفل ليكون راشداً في معاملاته عندما يقارب البلوغ.

ل. دعا ابن أبي الربيع إلى تطبيق قواعد علم الإدارة العامة في اختيار القائمين على شؤون القطاع المالي للدولة.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"

المصادر والمراجع

- جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية. طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: شوقي ضيف. طبع بمطابع مؤسسة دار الهلال، القاهرة د. ت.
 - حاجي خليفة. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. دار الكتب العلمية، بيروت 1992.
 - خليف غرابية. منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع أنموذجاً). المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد (8) العدد (1) 2015.
 - خير الدين الزركلي. الأعلام. دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1980.
 - رفيق يونس المصري. هل تُطلب النقود لذاتها؟ جامعة الملك عبد العزيز: كلية الاقتصاد والإدارة، 2005.
 - سلوك المالك في تدبير الممالك تأليف شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع. تحقيق: عارف عبد الغني. سلسلة كتب التراث (7). دار كنان، دمشق 1995.
 - صالح حميد العلي. عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والنظم الاقتصادية المعاصرة. دار اليمامة، ط1، دمشق 2000.
 - عادل ثابت. الفكر السياسي الإسلامي. دار الجامعة الجديدة، القاهرة 2002.
 - عبد الستار سلمى. محاضرات في الاقتصاد السياسي. دار النهضة العربية، القاهرة 2004.
 - عمر رضا كحّالة. معجم المؤلفين. دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1958.
 - كمال توفيق الحطاب. نظرات جديدة في المشكلة الاقتصادية من منظور إسلامي. مؤنة للبحوث والدراسات. المجلد السابع عشر - العدد الثالث 2002.
 - محمد أنس الزرقا. نظم التوزيع الإسلامية. مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، م 2 ع3، 1984.
 - مصطفى الكفري. الاقتصاد السياسي مقدمة في العلوم الاجتماعية. جامعة دمشق: كلية الاقتصاد، د. ت.
 - ناجي التكريتي. الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك. دار الأندلس، ط 3، بيروت 1983.
 - يعقوب سليمان وآخرون. مبادئ الاقتصاد الجزئي. دار المسيرة، ط1، عمان 1999.
 - يوسف كمال محمد. فقه الاقتصاد النقدي. دار الهداية ودار الصابوني، القاهرة 1993.
- مراجع من الشايكة (الإنترنت):
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (استهلاك - مورد):

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

للإطلاع على إصدارات المركز كاملة
يرجى زيارة موقعنا على الروابط التالية

الموقع على الشبكة (الإنترنت) : www.acatap.org

الصفحة على موقع التواصل الإجتماعي (فيسبوك):

<https://www.facebook.com/Acatap.Damascus>

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة: E-mail: acatap2@gmail.com